الفصل السادس
"استنتاج"

في مكتب سامر، كان سامر قابعًا خلف مكتبه، يحلّل بعض الأوراق، ويكتب البعض الآخر، حين طُرق باب مكتبه ودخل منه شابٌ في أواخر العشرينيات ملقيًا التحية بمرَح:

- باشا مصر.

نهض سامر مصافحًا زميله:

- جمال باشا بنفسه في مكتبي!

جلس الرجلان يتبادلان الحديث، أردف جمال:

- ها إيه الأخبار؟

- تمام والله الحمد لله.

- هو أنا بسألك عن صحتك؟ ما انتَ في وشّي طول اليوم وكل يوم.

قذفه سامر بعلبة الأقلام الفارغة:

- يا أخي!

ضحك جمال ملتقطًا العلبة قائلًا:

- مستواك بقى ضعيف في النشان.

سامر بتحذير:

- ما بلاش بقى بدل ما أقوم أتدرب فيك.

جمال: لا وعلى إيه، العمر مش بعزقة.

ضحك سامر ثم عقّب:

- ها ما قولتليش جاي تسأل على إيه؟

جمال: مفيش... كنت عايز أعرف القضية وصلت لإيه؟

سامر مشددًا على كلماته:

- ولا.. أي.. حاجة.

جمال بتعجب: ازّاي؟! انتوا مش حقّقتوا مع البتّ اللي اتمسكِت امبارح؟

سامر: لسه هشام بيه ماكمّلش تحقيق معاها، بصراحة مش عارف ناوي على إيه.

جمال بغباء: مش فاهم.

مط سامر شفتيه قائلًا بتفكير:

- مش عارف.. سألتُه نفس السؤال النهاردة، قالّي سيبك من التحقيق دلوقتي، وطلب مني شوية تقارير.. طب ماطَلَبْش منك حاجة جديدة؟

جمال: أبدًا، هو طلب شوية تقارير عن أهل جنّة، ووصلّنا إخبارية من قسم الأزبكية إن أهلها بيدوّرُوا عليها وبلّغْت القسم باللي قالهولي بالظبط.. ده كل اللي حصل.

هز سامر رأسه، ثم قال:

- يا خبر النهاردة بفلوس بكرة يبقى ببلاش.

وافقه جمال، ثم نهض قائلًا: طيب مش هعطّلَك بقى، هروح أكمّل الشغل اللي ورايا.

سامر: تمام.

ثم تابع ضاحكًا: كان الله في العون.

جمال: اتّرْيَق ياخويا اتّرْيق.

ما كاد جمال يستقر على مكتبه حتى بلغه اتصالٌ هاتفيّ، وفوجئ عندما دعاه هشام، ذهب إليه في الحال، وكانت دهشته حينما أمره هشام بضبط وإحضار المدعو "أحمد حسن"؛ فتساءل مستفهمًا:

- فيه جديد يا فندم؟

هشام وهو يشير إلى أحد التقارير على مكتبه:

-بسلامته راح امبارح شقة المنيل اللي كان فيها التليفون اللي انتَ لقيته.

جمال باستنتاج:

- ده معناه إن هو الشخص اللي كان المفروض نقبض عليه، ولما اطّمّن بعد ما مشينا رجع تاني.

هشام: ده الظاهر لحد دلوقتي.

جمال بعد فهم: مالهاش معنى تانى يا فندم كده، أكيد هو الشخص نفسُه اللي شُفْناه مع كارولين في المطار.

هشام: هيبان كل حاجة في التحقيق يا جمال، ماتستعجلش.

كان هشام رافضًا تلك النظرية لعدة أسباب؛ ومنها أن احتمالاته وفرضياته الأوّليّة ستكون هباءً، وكيف يحدث ذلك؟ فتلك الاحتمالات كان قد وضعها بناءً على أدلة وأحداث منطقية، تربُط الخيوط فيما بينها بدقة ترتقي إلى شبه يقين، فقط كان يبقى إثبات تلك الأدلة على المشتبَه به في وضع التلبّس، وسبب آخر يتمثّل بشعور يتسلّل إلى قلبه باليأس؛ لأن هذا سيعني أن جنة متورّطة بالفعل في تلك القضية، كم كان يتمنّى لو أن تكون بريئة من ذلك العبث، وتكون تورّطَت به بمحض صدفة كما تدَّعي.

نفضَ تلك الأفكار عن رأسه، ثم تابع حديثه إلى جمال:

- نفّذ الأمر يا جمال.

جمال: تمام يا فندم، في أقل من ساعة هيكون عند حضرتك.

خرج جمال، وعاد عقل هشام يطوف في هاوية لا قرار لها.

*****

كانت تجلس جنة في غرفة مظلمة تضيق عليها جدرانها؛ فكادت تشعر بالاختناق: "اجمدي يا جنة.. مش هيحصلّك حاجة، تخيلي إنك قاعدة في مكان مفتوح وإن السقف ده سما، والجدران دي مش موجودة."

شرعَت في تمرين التنفس لتهدّئ من روعها، كما أن لتخيّلها ذاك فضلٌ لا يُنكَر في صمودها حتى ذلك الحين.

كان الطعام موضوعًا أمامها، لكنها لم تكترث لأمره؛ فالذعر كان ينهش قلبها ومعدتها على حد سواء.

فُتِح الباب الحديدي فجأة محدثًا صريرًا تجفُل له الآذان، ودلف منه الرجل ذاته الذي دفعَ بها في تلك الغرفة قبل ساعات، وقال بصوت أجش:

- قُومي يلّا.

زاغ شعاع خوف بعينيها قائلة:

- هتاخدني على فين؟

مؤمن بنبرة أقل حدة:

- ماتخافيش.. هشام باشا هيكمّل تحقيقه معاكي.

اطمأنّ قلبها قليلًا ونهضت معه؛ فعلى الرغم من الرعب الذي يحيطها في ذلك المكان لِمَا سمعَته وعرفته عنه من الناس منذ كان اسمه أمن الدولة بدلًا من الأمن الوطني، ولم تكن لها أية خبرة في الامتثال أمام عسكري دورية لا ضابط أمن وطني، لكن كان قلبها يجنَح إلى الطمأنينة حينما يكون هشام إلى جوارها، رغم أنها تعتبره سبب وجودها في ذلك المكان المقيت، لكن ربما أَلِفَته كالمثل الذي يقول "من نعرفه أفضل ممَّن لا نعرفه"، أو ربما لأنه كان رؤوفًا بها عدة مرات، وهذا ما لم تكن تتوقعه منه البتة.

دخلت جنة غرفة التحقيق بخطًى مرتجفة، وجلسَت في انتظار مجيء هشام، يعلو صدرها ويهبط باضطراب لم تعرف سواه خلال هاتين الليلتين، أخذَت نفسًا عميقًا تهدّئ من روعها ولو قليلًا.

فُتح الباب بغتة محدثًا هَسْهَسَة فانتفضت، دلف منه هشام وقد لاحظ انتفاضتها؛ فابتسم بنصر؛ فأول الطريق إلى الانتصار هو قذف الرعب بقلب المجرم كما يعتقد وينتهج دائمًا.

سحبَ الكرسي وجلسَ عليه بثقة، وأردف بتؤدةٍ يزيّن شفتيه شبح ابتسامة:

- ازيّك يا آنسة جنة؟ أتمنى تكون الخدمة عندنا عاجْبَة حضرتك.

رمقته جنة بنظرات مختطفة تعبث بيديها بتوتر بالغ قد درسه هشام بمهارة؛ فتابع:

- بس لو فضلتي ثابتة على موقفك، أوعدك الخدمة عندنا مش هتعجبك بالمرة.

انهمرت الدموع من عينيها الداكنتين تحاول مسحَهُم وإظهار شيءٍ من القوة، لكن عبثًا.

استمعَت إلى هشام يقول وهو يفتح ملفًا بيده:

- أحمد حسن بدر.

جنة بانفعال يتخلّله البكاء:

- حضرتك ذكَرْت اسمه امبارح بس مافهّمتِنيش السبب.

رمقها هشام بخبث قائلًا:

- بصّي.. أنا عارف إنك ممكن تكوني ضحية وهتفهّم ده، بس مش في صالحك تبقي.. غبية.

جنة بتوسل: أرجوك تصدقني.

قاطعها هشام:

- تاني؟! أنا عايز أساعدك، وأحسَنْلِك تستغلّي الفرصة دي، عشان لو راحت منّك ما أَضْمَنْلِكِيش فرصة تانية للخروج من هنا.

جنة بانهيار:

- صدقني والله، كل اللي أعرفه هقولُه بس حضرتك توضّحلي.

هشام: حلو.. قوليلي بقى.. إيه مدى علاقتك بالمدعو أحمد حسن بدر.

جنة باضطراب: علاقة سطحية، مجرد زميلي في الجامعة.

هشام:

- الإجابة دي ماتِرْضِينِيش.. بس معلش خلّيني معاكي، هل مثلًا أحمد بدر ماسِك عليكي حاجة.. بيهددك بحاجة؟

جنة باستشاطة:

- حضرتك قصدك إيه؟ لا يا سيادة الرائد أنا ماسمحْلَكْش.

هشام بسخرية:

-تسمحيلي! طيب هنشوف حتّة السماح دي بعدين لما يشرّف جنبك هنا.

جنة بذعر:

- يا حضرة الظابط أرجوك أنا مش عايزة أكون سبب لحد في مشاكل، ده واحد علاقتي بيه سطحية جدًا، هيبقى شكِلي إيه لما ألبّسه مصيبة زي دي!

هشام بعصبية:

-انتِ اللي مش قادرة تفهمي إن البني آدم ده هو أكبر سبب لوجودك هنا.

حدقت به جنة من خلف دموعها، وردت بعدم فهم: مش فاهمة.

هشام:

- البيه امبارح كان في البيت اللي كانت بتصدُر منه مكالمات لكارولين، ده غير إنه لُه ملف عندنا بيقول إنه هاكر محترف لمواقع أمنية، وإنه بيجنّد شباب لجماعات وتنظيمات، وكونُه تواجَد في البيت ده فده معناه حاجة من اتنين؛ يا إما هو اللي مُكلّف باستقبال كارولين وتوجيهها لهدفها، يا إما عارف مين هو.. وفي الحالتين هيكون هو اللي كلّفِك بتهريب كارولين منّنا، صح كلامي؟!

صاحت جنة غير مصدقة ما تسمعه:

- لا طبعًا مش صح.. كل ده ماعرفش عنه حاجة، والله العظيم اللي قولتهولَك هو كل اللي أعرفه، حتى أحمد ده معرفش عنه أي حاجة، حتى عمرنا ما وقِفْنا لوحدنا مع بعض في الجامعة، أرجوك تصدقني.

قالت توسلها الأخير وقد خارت قواها الذهنية والجسدية، لم تعُد تستوعب ما يحدث لها، ولا يدري هشام لمَ اجتاحته رغبة عارمة لتصديقها! لكن تُرى هل كل هذا الارتباط بين الأشخاص والأدلة يحدث بمحضِ صدفة، ولمَ تريد الصدفة توريط تلك المسكينة؟!

*****

في خارج الغرفة كان سامر وجمال يستمعان إلى التحقيق ويشاهدانه عبر النافذة الزجاجية، حينما حضر اللواء قائلًا: ها، فيه جديد؟

جمال: للأسف لسه يا فندم، البنت لسه عند إنكارها، مع إن الأدلة الجديدة مش في صالحها.

بينما أردف سامر:

- أعتقد لما ناخد أقوال المتهم التاني الوضع هيختلف.

هز اللواء رأسه بضيق قائلًا:

- جاتْلِنا أوامر بإنهاء المهزلة دي والقبض على كارولين في أسرع وقت.

دلف اللواء إلى غرفة التحقيق ومن خلفه جمال وسامر، كان لهيئتهم أثرٌ مرعبٌ لجنّة، خاصة حين نهض هشام قائلًا:

- سيادة اللواء!

في ذلك الحين نهضت جنّة عن مقعدها باضطراب وتوتر بالغ، كادَت تتعثّر بقدم الكرسي لكنها تدارَكَت نفسها، سمعت اللواء يحدثها بحزم:

- بقى اسمعي.. كده ولّا كده سكوتك مش هيفيدك، وشريكِك مسيرُه يعترف عليكي أو يلبّسك القضية لوحدك؛ فأحسنلِك تعترفي وتقوليلنا اللي تعرفيه، كارولين لو نفّذِت اللي جاية عشانه وهربت انتِ اللي هتشيلي القضية لوحدك.

دبّ الذعر بقلبِها، لا تدري ماذا تفعل كي يصدقونها؟! صاح اللواء:

- انطقي أحسن لك.

لم تدرك جنة نفسَها سوى وهي تختبئ خلف هشام ودموعها تغرق الأرض، من خلفها تحاول إخراج الكلمات المتعثرة على شفتيها يختلجها نحيبها:

-والله.. أنا قولت.. كل اللي أعرفه لسيادة الرائد.. صح؟ قول له أرجوك.

كانت ردة فعلها غريبة للجميع، وأولهم هشام الذي أدهشته فعلتها حينما اتخذَت من ظهره حصنًا منيعًا تتوسّله الدفاع عنها، وكأنها طفلة تحتمي بظهر أبيها، في تلك الأثناء تخبّطَت مشاعره مع أفكار عقله؛ ففي حياته المهنية لم يسبق أن رأى مثل ردود أفعالها على المجرمين، العتاة منهم والجبناء، لكنها بكل أحوالها تحِيط بها هالة من البراءة؛ فكانت حصونها تشكّل لهشام زجاجًا شفافًا يستطيع سبر أغوارها، ورؤية ما بداخلها بوضوح من ألم ورعب وبراءة شابة لم يتجاوز سنها الحادية والعشرين، نطق هشام أخيرًا:

- كل شيء تمام يا سيادة اللواء، فاضل نستجوب أحمد بدر و.. بإذن الله نطلع بمعلومات مهمة.

اللواء بحنق: شوف شغلك يا سيادة الرائد، والتقارير تكون على مكتبي في أقرب وقت.

هشام: تحت أمرك يا فندم.

خرج اللواء وتبعه جمال وسامر، بينما التفَتَ هشام إلى جنّة المنكمشة بنفسها خلف ظهره، وأمسك بيدها برفق، ثم أجلسها وقد تهاوى عن وجهه قناع الحدة والإرهاب واستحال مكانه الرقة واللين، يحُثّ شفتيه على الإفراج عن كلماته قائلًا: اهدي.

جذب المقعد، وجلس بجانبها بعدما تأكّد من ذهاب جمال وسامر مع اللواء، وما من أحدٍ يسمع الحديث القائم بينهما، فأردف:

- أنا عايزك تهدِي وتحاولي تساعدينا، وأنا بوعدك هطلّعك من هنا في أقرب وقت.

طمأنها حديثه قليلًا، لكنها صاحت بخفوت:

- بس أنا فعلًا ماعرفش حاجة.

كان هشام شبه متيقّنٍ من كلامها، لكنه لم يشأ إظهار ذلك حتى يتيقّن من ذلك بالأدلة كما اعتاد؛ ففي عمله ليس هناك مجال للشعور والأحاسيس التى ربما تخدع أحيانًا، لكن هناك أيضًا أدلة خادعة حينما يلفّقها أحدهم باحترافية بالغة.

استطرد هشام:

- طيب.. أنا هطلبلك واحد ليمون تشربيه في مكتبي عقبال ما أحقق مع أحمد بدر، بس خلّي بالك الساعي بيشتكي إنك خلّصتي ع الليمون اللي عنده.

فلتَت ابتسامة باهتة عن شفتيها من بين بكائها؛ فبدت له فاتنة، تأملها قليلًا بعينين عميقتين قبل أن ينادي مؤمن ليأخذها إلى مكتبه.